٤ - من بدع العقائد

التوحيد جوهر الإسلام ومظهره ، ولُبابه وقشوره ، ودعامة التعاليم التى جاء بها ، بل هو رباط بنائه ، ولون طلائه ، ومعقد أصوله وفروعه ...

وليس الإسلام بدعاً فى الدعوة إلى توحيد الله .

فرسل الله - قاطبة - بُعثوا بهذا الإيمان الخالص ، وجمعوا الناس عليه ، وحذّروهم من كل شائبة تُعكّر صفوه وتُطفىء رونقه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (١) .

غير أن جماهير غفيرة من البشر أبت إلا أن تزيغ عن هذا الصراط ، وأن تتشبث بأوهام سخيفة ، باعدتها عن الله ، وأحلّتها البوار .

فكان كل نبى سبق ، يجىء بالحق ، ويناشد الأمم أن تثوب إليه ، حتى جاء خاتم المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ .

فصدّع صرح الشرك ، وخطّ فى شِغاف القلوب عقيدة الإيمان بالله الواحد .

وكان القرآن الكريم - ولا يزال - النداء العالى لهذا اليقين الحق ، والمجادل القوى عما يعرض له من شُبه أو يلتبس به من تخليط ...

ومن المؤسف ، أنّ المسلمين أصابهم مس من داء الأمم السابقة ، فظلموا رسالتهم الجليلة بما شابوا به عقيدة التوحيد ، وبما أقحموه عليها من بدع وخرافات .

وهى بدع وخرافات ، تشبه ما انزلق اليه الأولون ، أو هى ترديد لما كان من لغو ... حذوك النعل بالنعل :

﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ، قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (٢) .

---

(١) الأنبياء : ٢٥ (٢) البقرة : ١١٨

والإبتداع قد يأتى بالشىء وضده معاً ، ليُفسد العقيدة الوَسط .

فتسوية المخلوق بالخالق شرك يُفسد عقيدة التوحيد ، وكذلك إفناء الخَلق فى الخالق ، ضلال لا أصل له فى هذه المِلّة ، وإن كان ظاهره أنه غلو فى تقدير اللّه ، وإغراق فى مبدأ التوحيد .

* * *

● وحدة الوجود :

كنا نظن أنّ هذه الخرافة قد انتهت بانتهاء أصحاب الشطحات الذين اشتُهِروا فى التصوف القديم .

إلا أنّ نفراً من عُصاة المسلمين فى عصرنا هذا عندما يتركون حياة المجون ، ويرغبون فى العودة إلى اللّه و تصيبهم لوثات غريبة .

فيحسبون أنّ من تمام توبتهم تغليب ذات اللّه على كل ما يعرض لهم من أشخاص وأشياء .

فتراهم يخرجون من أنفسهم ، ويسلخون العالَم من خصائصه العتيدة .

وقد تتردد على ألسنتهم كلمة « الحلاّج » عندما سُئِلَ : مَن فى الجبة ؟ قال : اللّه ...

ولما كان من المتعذر بناء سلوك عملى على هذه الفكرة ، فان الجانحين إليها يكتفون بنوع من الجبر الذى يشل الإرادة ، والتسليم لما تفد به الأحداث ، ثم الحديث عن اللّه الكامن فى كل شىء حديث استكانة وذوبان ...

وقد أُصيب جمهور المسلمين برشاش من هذه الخرافة ، أوقف نمو المنطق المادى فى بلاد الإسلام ، وخلط بالإلهيات أموراً كثيرة ، لا تمت إليها بسبب .

إنّ العالَم شىء يغاير اللّه - برغم ما يقوله فريق من المتصوفة - وللّه عَزّ وجَلّ ذاته وأسماؤه ، وحقوقه التى فُصِّلت تفصيلاً فى كتبه المنزّلة .

وهناك فرق كبير ، بين وحدة الوجود ، ووحدة الشهود .

إنّ المرء قد يستغرق فى النظر إلى مسألة ما ، استغراقاً يُذهله عما حوله .

وربما نودى - وهو غارق فى بحار الفكر - فلا يسمع النداء .

فهل هذه الصورة من صور الانحصار الذاتى ، تعنى فناء ما حول الإنسان ، لأن الإنسان غائب عنه بفكره ؟

والشمس تطلع فتغمر بأشعتها الساطعة أرجاء الكون فلا يمكنك أن ترى فى الأفق البعيد أو القريب نجماً ، حتى إذا عاد اللَّيل ونشر ظلامه أخذت النجوم المختفية عن العين تلوح فرادى وجماعات ..

هل غلبة أشعة الشمس عليها تعنى لمن لا يراها أنها معدومة ؟

إنَّ من المؤمنين الأخيار مَن يعيشون فى أنوار اللّه معيشة رفيعة ، رسخوا فى مقام الإحسان حتى ألفوا أطواره الزاهية .

ومقام الإحسان - كما عرَّفه رسول اللّه ﷺ : « أن تعبد اللّه كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » [1] .

وهذا الإلف يصح أن نُطلق على حقيقته وحدة الشهود .

وهى منحى يغاير تمام المغايرة ، وحدة الوجود ، وإن اختلط الأمران على القاصرين .

وأكثر الذين يعتنقون فكرة ما ، أو تُسيِّرهم عاطفة خاصة ، يقيسون ما يلقاهم من شئون الحياة على شئونها ، ألا ترى الرجل الغزل يقول :

لا أرى الدنيا على نور الضُحى بل أرى الدنيا على نور العيون

فليس بعجيب أن يوجد مؤمنون تستولى على مشاعرهم عاطفة دينية ، تجعل نشاطهم كله محصوراً فى مرضاة اللّه ، وتجعل نظرتهم للأمور من هذه الزاوية الخاصة وحدها .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

بل فى هذا يُساق الحديث المشهور عن رسول الله ﷺ ، أن الله قال : « مَن عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب . وما تقرَّب إلىَّ عبدى بشىء أحب إلىَّ مما افترضتُ عليه ، وما يزال عبدى يتقرَّب إلىَّ بالنوافل حتى أُحبه . فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأُعطيَنه ، ولئن استعاذنى لأُعيذنه » .

فالحديث يشير إلى مرتبة التفانى فى إرضاء الله تفانياً يجعل حواس المرء وجوارحه مسخَّرة فى طاعة الله وحده .

ولا يعنى - ألبتة - أنَّ إدمان العبادة ينتهى بحلول أو اتحاد كما يتصوره بعض السُذَّج ، أو ينتهى على القليل بطور خارق للنواميس المعتادة كما صوَّر ذلك المتصوفة فى حديث مكذوب : « عبدى ، أطعنى أجعلك ربانياً تقول للشىء كن فيكون » .

* * *

● الوسطاء :

ومما وقع فيه العوام : الاتجاه إلى قبور بعض الصالحين ، يطلبون من أصحابها ما لا يُطلب إلا من الله عَزَّ وجَلَّ .

لعل سر هذا الشرود ، أنَّ الناس يرون فى أنفسهم ضِعة ، تقصر بهم عن مناجاة الله مباشرة .

فهم يذهبون بحاجاتهم إلى قوم أزكى حالاً ليرفعوا عنهم مالا يمكنهم رفعه بأفئدتهم وألسنتهم .

وهذه العِلَّة هى سر الانصراف عن الله الحق إلى عبيده الذين يسمعون ، والذين لا يسمعون ، بل الذين يعقلون والذين لا يعقلون .

وكم من عِلَّة ، ظاهرها زيادة توقير الله ، بانتهاك حرمات الله .

ألا ترى أنَّ المشركين كانوا يطوفون بالكعبة عرايا ، نساءً ورجالاً ، محتجين بأنه لا ينبغى أن يطوفوا فى ثياب عصوا الله فيها .. ؟

فالتحرج من الاتصال بالله ، دون وساطة ، كان جريمة الوثنية القديمة التى صوَّر القرآن الكريم اعتذارها عن شركها بقوله : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ (١) .

وهذا الاعتذار نفسه ، هو ما يردده سدنة الجاهلية الحديثة ، فى دفاعهم عن قُصَّاد القبور طلباً للشفاء والفَلاح ، والتماساً للنجدة والعون ...

وبديهى أنَّ لا مكان فى الإسلام لوسطاء بين الله وخلقه ، فإن كل مسلم مكلَّف أن يقف بين يدى الله مهما كانت حالته ، وهو موقن بأن دعاءه ينتهى إلى سمع الرحمن من غير تدخل بَشر آخر ، أياً كان شأنه .

والعبادة الأولى فى الإسلام - وهى الصلاة المقسَّمة على أجزاء النهار والليل - قوامها هذه الحقيقة المؤكدة التى لا ريب فيها .

فكيف يوجب الله على عباده أن يترددوا على ساحته ويسألوه - حتماً - الهداية إلى الصراط المستقيم ، ويسجدوا بين يديه ضارعين طالبين ؟

وكيف يعتبر التخلف عن هذه الصلوات كفراً به ، أو إهداراً لحقه ، ثم يسوغ لأحَد من الناس بعد أن يقول : أنا محتاج لوسيط يحمل عنى إلى الله ما أُريد ؟

إنَّ هذا لا تفسير له إلا الرغبة فى الشرك الخفى أو الجلى .

وتسأل طالب الوساطة : مَن تختار ليكلم لك الله ؟

فلو أنه اختار من الأحياء رجلاً يتوسم فيه الصلاح ليدعو الله له لهان الخَطب .

بَيْدَ أنَّ العجيب قصده إلى الأموات الذين انقطعت بالدنيا صِلاتهم وأفضوا إلى ما قدَّموا من عمل .

ولا شعور لهم بهذا القاصد الجهول الذى جاء ، لِمَ ؟ ليطلب منهم أو يستشفع بهم .. ؟

---

(١) الزمر : ٣

إنَّ التفكير الإسلامى سقط فى هذه الوهدة الشائنة من أمد بعيد . فدارت حول الولاية والأولياء خرافات شتَّى .

وجاءت على الناس أيام ظنوا فيها أن مقاليد الكون أصبحت بأيدى نفر من هؤلاء الهلكى يُصرِّفونها - بدلالهم على الله - كيف يشاءون !

وزاد الطين بلَّة ، أن أولئك الأولياء المقصودين تجاوزت قدرهم قوانين الأسباب والمسببات المعروفة .

فاضطربت - تبعاً لذلك - نظرة المسلمين إلى سُنَن الله الكونية ، وحسبوها تلين لكل مَن واظب على شىء من العبادة !!

وانتهى أمر هذه الأمة المنكودة إلى أن فقدت مكانتها العالمية فى دنيا تعتمد على المعرفة الحقة بأسرار الطبيعة وقوانين الحياة .

بعد أن فقدت - أيضاً منزلتها - عند الله مذ أشركت معه مَن لا يملك لنفسه أو لغيره ضراً ولا نفعاً .

﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ، إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً ﴾ (١) .

لماذا يكون من الدين الاعتراف بحق « أناس ما » فى التوسط بين الله وخلقه؟

ولماذا يكون من الدين الاعتراف بقدرة هؤلاء على اختراق نواميس الطبيعة وصنع الخوارق الباهرة ؟

ولماذا يُعَد من شُعَب الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر أن نقر بحقوق هذه الولايات وطاقتها الواسعة فى تصريف الشئون وبعث الشجون ؟

الحق أنَّ هذا كله تخليط سمج ، وأنَّ اللجاجة فيه نزعة جاهلية .

---

(١) الكهف : ١٠٢

ولن تعدم دعياً فى الإسلام يخاصم عن هذه الأوهام ، ويحاول تعكير التوحيد الخالص - وهو روح الإسلام ومادته - بلغط ، لا عقل فيه ولا إخلاص ، زاعماً أنَّ اتخاذ الوسطاء لا يُنافى تعاليم الدين ..

ولا غرابة ! فإنَّ النصارى يرون التثليث توحيداً . ﴿ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾ [1] .

* * *

● ما وراء المادة :

الإسلام رسالة صلاح وإصلاح . صلاح للنفس ، وإصلاح للمجتمع العام . وعندما نزل هذا القرآن الكريم ، وأخذ رسول الله ﷺ يجمع الناس على هَديه المبين ، تعهد الناس بالأمرين جميعاً .

فكان المؤمنون يصقلون أنفسهم بآداب الدين ويرون لزاماً عليهم أن يرسموا للحياة حدود الكمال ، وأن يقودوا الدنيا - طوعاً أو كرهاً - إلى الحق والخير .

أعباء هذه الرسالة الضخمة - بشقيها الخطيرين - لا تدع مجالاً لثرثرة البطالة وترف العقول .

ومن هنا لم يسجل تاريخ في عهد السَّلَف الصالح نقاشاً فى بحث المسائل الإلهية أو تقعراً فى فهم المقرارت الدينية .

فإن القوم شغلوا بما هو أعظم من ذلك ، شغلوا بأداء رسالة الإسلام الصحيح .

فكان العمل المجدى والإنتاج الموفور ، همهم الأول والأخير .

حتى إذا ضعفت موجة هذا النشاط الرائع ، وقعد الناس فى مجالسهم ساكنين ، اتجهوا إلى أصوال الإسلام وفروعه ، يجعلون من تقليبها على وجوهها وتشقيقها وتشريحها ، عملاً يتقرَّبون به إلى الله .

أو قُلْ : يقضون به أوقات الفراغ ..

وقد انفتحت على الإسلام أبواب الشر من هذا الترف العقلى .

---

(١) الكهف : ٥٤

وخاصة بعد أن تُرجِمَت مسائل الفلسفة الإغريقية ، ولقيت من عناية المسلمين حظاً كبيراً .

فإن لفيفاً من المفكرين لم يجد حَرَجاً فى خلط أصول الإسلام بمناهج التفكير اليونانى فى الإلهيات .

وبذلك اتسع ميدان الجدل ، وطال وعرض ، وأمسى العلم الذى يتعرض لموضوعات العقيدة ، يسمى « علم الكلام » .

وانشغل علماء المسلمين بأمثال هذه المباحث :

- هل الوجود عين الموجود ، أم صفة خارجية ؟
- هل صفات المعانى ، هى الذات ، أم هى لا هو ولا غيره ؟
- هل القرآن ، كلام الله ، قديم أو حديث ؟
- هل رؤية الله ممكنة أو مستحيلة ؟
- هل تُعاد الأجسام بعد البعث بأعيانها أم بأشباهها ؟

هل ؟ .. هل .. ؟؟

ونحن لا نهتم بتحديد الحق فى هذه الإجابات قدر ما نهتم بالإبانة عن أنَّ هذه البحوث كلها لغو من القول ، وأنَّ المسلمين انكبوا عليها يوم اضطربت سياستهم الشرعية ، وقلّت أنصبتهم من العمل النافع لأنفسهم بين العالَمين .

هل معنى هذا ، أنَّ الاستبحار العلمى محظور ، وأنَّ الحَجْر على الفكر - حتى لا يخوض هذه البحوث - سُنَّة ؟ وأنَّ إطلاق العنان له بدعة ؟

والجواب أنَّ العلم نوعان :

- علم تجريبى استقرائى ، يقوم على البحث فى المادة ، والانطلاق فى عالَم الشهادة .

وهوعلم لا يمكن لأحد أن يضع له حداً أو أن يصنع له قيداً .

والانشغال به طاعة لله ورسوله ، واستمساك بالحق ، واتباع لهَدى القرآن .

- وعلم يتصل بما وراء المادة ، أى بعالَم الغيب .

والمعارف التى تجيئنا فى هذا الميدان مصدرها الفذ وحى السماء ، ولا مجال فيها للعقل إلا مجال الافتراض والتظنن .

وأكثر الفلسفات المتصلة بما وراء المادة ، هذيان وتخبط .

لأنها لا تخضع لوسائل يحكمها العقل السليم ، أو تتمشى مع منطقه المحكم .

ومقتضى ذلك أن نتلقى بالتسليم ما جاء به الشارع من حقائق غيبية ، وأن نتيح للعقل فرصة الاجتهاد والاكتشاف فى ميدان الكون الرحب .

أليس من السخف أن يجىء رجل ليبحث عن حقيقة استواء الرحمن على عرشه، وهو لايدرى شيئاً عن قوانين الأجسام الطافية ، أو قوانين الانعكاس والانكسار ؟

هبه درى بشىء من ذلك بالوسائل المادية التى بين يديه .

فما هى الوسائل التى يصل بها إلى استكناه حقيقة الاستواء ؟

لا شك أن انشغال العقل الإسلامى بهذه البحوث غير المادية ، كان على حساب تقصيره المعيب فى البحوث المادية نفسها ، فضلاً عن تقصيره فى رسالته العملية التى شرحناها آنفاً ، وأنَّ الكلام فى الإلهيات على هذا النحو من المحدثات التى آذت الإسلام وأهله فى الأولين والآخرين ...

* * *

● بين الغيب والشهادة :

أودع الله عَزَّ وجَلَّ فى الأشياء خصائص لا تنفك عنها عادة .

والناس فى تعميرهم للأرض يتعرفون هذه الخصائص لكل عنصر ، وينتفعون بها جهد طاقتهم .

وقد استطاعت الحضارة الحديثة أن تستكشف كثيراً من خواص المادة ، وأن تستفيد منها فى نواح شتَّى .

وعلم هذه الخواص موكول إلى الناس وإلى مدى تجاربهم ومعارفهم .

فإذا كانت الحقائق المسلّمة قد انتهت إلى تحديد الخواص الممكنة لشيء ما ، فإن على المسلم أن يحترم هذه الحقائق ، وليس له - باسم الإسلام - أن ينتقصها أن يتزيّد عليها ، ولا يُقبل منه ديناً أن يتجاهلها ، باسم التوكل على الله ، أو أن يضيف إليها خصائص من عنده باسم الصلة بالله .

ذلك أن التوكل لا يخدش قانون الأسباب والمسببات ، ولا يمس القوى التى وهبها الحق مختلف العناصر منذ قال : ﴿ رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ (١) .

من خواص النار أنها تحرق ، وتجاهل ذلك حمق ، لا يقول به دين .

ومقتضى الإيمان الاعتراف بهذه الخاصة ، على أنها الطبيعة التى أودعها الله فى المادة .

فإنه ما من ذَرَّة فى السموات والأرض تستمد وجودها وحركتها من طبيعتها ، وإنما تستمدها من الحى القيوم جَلَّ شأنه .

لكن ما صلة هذا الملحظ الواجب بتعطيل قوانين الحياة ؟

إنَّ المؤمنين الذين يريدون - باسم التوكل - تجاهل هذه القُوَى والأسباب يرتكبون هذه الجهالة ، عند أنفسهم .

أما الإسلام فهو منها برىء .

إن هذا عمل يدل على نقص فى العلم ، ولا يدل على زيادة فى اليقين .

كذلك من الخطل ، إضافة خواص موهومة ، إلى الخواص التى حددتها علوم الطبيعة .

فالأصنام - مثلاً - حجارة ، تصلح لأن تكون لبنات فى بناء دار ، أو مهاداً فى رصف طريق للمارة ، ولا يُقبل فى خصائصها ألبتة غير هذا ، مما يتوهمه عبيدها .

وبقر الهندوس ، قد يُنتفع بها فى در اللّبن ، أو أكل اللّحم ، ولا مكان فى خصائصها لقداسة أو زلفى .

---

(١) طه : ٥٠

وكذلك سائر العناصر التى خلقها الله .

إنَّ خواصها لا تمتد أو تنكمش حسب اعتقاد الجُهَّال فيها ، بل تبقى ثابتة داخل النطاق الذى رسمته القدرة العليا وعرَّفته لنا العلوم الصحيحة .

ودين الله يصدق هذه الحقائق ويؤكدها .

فالذى يعلق ودعة ، أو يحتفظ بتميمة ، ظاناً أنَّ هذه المواد تنفع فى دفع مرض ، أو جلب رزق أو إطالة أجل ، إنما هو وثنى يجارى بتفكيره العفن تفكير عبدة الأصنام والعجول .

فإنَّ للاستشفاء مواد أخرى حددتها علوم صحيحة .

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، أنه دخل على امرأته وفى عنقها شىء معقود ، فجذبه فقطعه ، ثم قال : لقد أصبح آل عبد الله أغنياء عن أن يُشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً .

ثم قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « الرقى والتمائم والتوَلة شرك » قالوا : يا أبا عبد الرحمن ، هذه الرقى والتمائم قد عرفناها ، فما التِوَلة ؟ قال : شىء يصنعه النساء يتحببن به إلى أزواجهن .

وروى أحمد عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ أبصر على عضد رجل حلقه من صُفَر فقال : « ويحك .. ما هذه » ؟ قال : : من الواهنة ! قال : « أما إنها لا تزيد إلا وهناً ، انبذها عنك ، فإنك لو متَّ - وهى عليك - ما أفلحتَ أبداً » ...

وقد تجد بعض الناس يتخذ من المصحف نفسه حجاباً يحسب أنه يقيه الإفلاس إن كان تاجراً ، أو يرد عنه بطش الرؤساء إن كان موظفاً .

وهذا تخبط سقيم ، وإذا حسبه السُذَّج إيماناً بالله وإجلالاً لكتابه ، فهم واهمون .

فصلة المسلم بالقرآن العظيم أن يتدبره ويعمل به .

وإذا كان تاجراً أو موظفاً فنجاحه فى عمله ، أساسه الأول والأخير ، أداء هذا العمل تاماً لا يعيبه نقص ، مستقيماً لا يزرى به عوج .

وكل تفريط فى هذا لا يجبره تعليق مصحف من حجم كبير أو صغير .

وقد وردت فى القرآن والسُّنَّة ، أدعية كريمة ، يتوجه بها المسلم إلى ربه إذا أعياه أمر أو نابه سوء .

وهى أدعية واضحة المعنى مشرقة اللفظ ، يرددها المؤمن فى حرارة ورجاء ، فيكشف الله عنه ما نزل به ، ويسوق إليه رحمته المنشودة .

هذه هى الرقى التى نعترف بها ، لأن الشارع هو الذى علمنا إياها .

وهى من أسباب الكون المعتادة .

فإن العاجز إذا طلب من القادر شيئاً ينتظم مع الحكمة العامة لم تكن إجابته إليه شذوذاً ولا فوضى ، بل كانت عوناً يُذكر ويُشكر .

ومن سُنَّة رسول الله ﷺ إذا عاد مريضاً أن يدعوله : « أذهب البأس ، رب الناس ، اشف ، وأنت الشافى ، لاشفاء إلا شفاؤك ، شفاءً لا يغادر سقماً » .

وعندما تألم أيوب من الأحزان التى نزلت به لجأ إلى ربه يسأل النجاة : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّى مَسَّنِىَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾ (١) .

فعلى العباد أن يقصدوا ساحة الله سائلين .

ولكن ليحذر امرؤ أن يفهم أن الدعاء يخرق سُنَن الله الكونية ، أو يهدم قوانين الأسباب والمسببات .

إن الأعزب لن يُرزق ولداً ، ولو ظل يدعو ألف عام .

وإجابة الله للدعاء تكون منه عَزَّ وجَلَّ بتوفيقه الإنسان إلى الأخذ بالأسباب الصحيحة ، ومنع العوائق التى قد تعترضها .

---

(١) الأنبياء : ٨٣ - ٨٤

فإذا كانت هناك أشياء تختص بها القُدرة العليا ، ولا يد للبَشر فيها ، فقد تكون الإجابة أن يتفضل الحق بإجرائها وفق ما تقضى به حكمته ورحمته .

وكثيراً ما يتعرض الناس إلى أزمات من ذلك النوع تأخذ بنواصيهم إلى الله ليضرعوا ويستغيثوا .

فإن الناس سراع إلى الطغيان كلما شعروا باستغناء .

ومصداقه ، قوله تعالى : ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾ (١) .

هذا اللون من الرقى لا شيء فيه ، بل هو إيمان محض .

وليس من قبيل الشرك الذى حذَّر منه ابن مسعود .

فإن عبد الله يعنى بالرقى الباطلة همهمة السحرة ، وتعاويذ الكُهَّان ، وما إلى ذلك من خرافات تُخيَّل إلى بعض الناس أنَّ هناك أشياء مبهمة ستصنع لهم الخوارق ، وتبلغهم ما يريدون ...

والغريب أن المسلمين اشتغلوا بهذه السخافات ، فحوَّلوا دينهم إلى طلاسم يناط بها المستحيل فى الوقت الذى غلبهم العجز عن شئون الدنيا وخصائص الأشياء .

فإذا بهم يتقهقرون فى ميادين الحياة ، بينما أُوتِىَ غيرهم مفاتيح الأرض والسماء بطرق طبيعية سهلة .

أتُرانا - إلى جانب هذا الانهزام - أرضينا ربنا ، واحترمنا ديننا ؟

إنَّ الخلاف الذى أداره علماء الكلام الأقدمون حول علاقة الأسباب بالمسببات نضح سماً قاتلاً على أفكار المسلمين ومشاعرهم .

والرأى الذى قال عنه البعض : يمثل عقيدة أهل السُنَّة ، لاسناد له من عقل أو شرع .

---

(١) العلق : ٦ - ٧

قال هؤلاء : إنَّ النار لا تُحدث الاحتراق بنفسها ، ولكن يُحدثه الله عند قربها .

وكذلك الماء لا يُحدث الرى ، والسكين لا تُحدث القطع .

ثم اطرد الكلام على هذه الوتيرة ، ينكر طبائع الأشياء التى أوجدها الله فيها ، فقال ناظم العقائد :

ومَن يقل بالقوة المودعة ... فذاك بدعى فلا تلتفت ؟ !

ولماذا يكون هذا الرأى بدعة لا يُلتفت إليها ؟

لقد جاء شيخ الإسلام ابن تيمية ونظر فى هذه الأقوال نظرة نافذة ، ثم ندد بها ، واستغرب أن يزعم عاقل أن النار لا تحرق بنفسها ، بل يقدِّر الله الإحراق عندها ! !

ثم أورد تعابير القرآن فى هذه السياقات مثل قوله تعالى :

﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاء مَاءً لِّيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ ﴾ (١) .

قال ابن تيمية (٢) : « إن أهل الهدى والفلاح يثبتون علم الله وقُدرته ومشيئته ووحدانيته ، وأنه خالق كل شىء وربه ومليكه !

ومع هذا لا ينكرون ما خلقه من الأسباب التى خلق بها المسببات .

قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ (٣) .

وقال : ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾ (٤) .

وقال ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً ﴾ (٥) .

فأخبر عَزَّ وجَلَّ أنه يفعل (٦) .

---

(١) الأنفال : ١١ (٢) عن الرسالة التدمرية . (٣) الأعراف : ٥٧

(٤) المائدة : ١٦ (٥) البقرة : ٢٦

(٦) فالأسباب أدوات حقيقية ، ووسائل فطرية ، وجحدها عبث ، والتعويل عليها فى بلوغ الغايات دين .

ومَن قال إنه يفعل ما يريد عند وجود هذه الأسباب لا بها ، فقد خالف ما جاء به القرآن وأنكر ما أوجده الله من القوى والطبائع » ..

لماذا يُصرف الكلام عن الحقيقة إلى التجوز فى هذه الآيات وغيرها ! ؟ وما بواعث ذلك ! ؟

وكيف تُتصيَّد الفروض الموهومة على هذا النحو ، لدعم عقيدة التوحيد ! ؟

إن عوام المسلمين سقطت نظرتهم إلى قيمة السبب فى ذاته بعد ما شاع فى أوساطهم : أنَّ أثره الطبيعى باطل .

وعلق بأذهانهم أنَّ النتائج المرجوة منه قد تقع عند وجوده ، وقد تتحقق من تلقاء نفسها ! !

وبعد ما انفصلت العلائق الوثيقة بين الأسباب والمسببات طغت على أفكار العوام خرافة أخرى .

وهى : أن خوارق العادات أمور شائعة متوقعة ، يجريها الله صباحاً ومساءً ، على أيدى مَن يشاء من عباده ، البر والفاجر ، والمؤمن والكافر ..

فاذا وقع الخارق على يد نبى فهو معجزة ، أو على يد ولى فهو كرامة أو على يد فاسق فهو معونة واستدراج .

ثم اقترن هذا الكلام بأصول الإيمان نفسه ، فأصبح مَن يستغرب خارقاً نُسِبَ إلى فلان أو فلانة ، رجلاً مشكوكاً فى عقيدته ، مريباً فى سيرته .. !!

وهذا الكلام كله يجب إبعاده عن أصول العقيدة وفروعها - عدا ما يمس النبوّات منه - ثم بحثه فى مجاله العتيد من موضوعات العلوم الأخرى دينية كانت أو مدنية ...

وليعلم المسلمون أنهم لن يصلح لهم دين ، ولن تصلح لهم دنيا ، إذا تناولوا أمورهم بطريقة لا يقرها وحى ، ولا يؤيدها فكر .

* * *

قال ابن الجوزى فى « صيد الخاطر » : « عرضت لى حالة ، لجأتُ فيها بقلبى إلى الله تعالى وحده ، عالماً بأنه لا يقدر على جلب نفعى ودفع ضرى سواه .

ثم قمتُ أتعرض بالأسباب ، فأنكر علىّ يقينى ،. وقال : هذا قدح فى التوكل ، فقلت : ليس كذلك ، فإنَّ الله تعالى وضع من الحِكَم ما تجب رعايته ، وكان معنى حالى أنَّ ما وضع لا يفيد ، وأن وجوده كالعدم .

كيف ؟ وما زالت الأسباب فى الشرع كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ ﴾ (٢) .

وقد ظاهَرَ النبى ﷺ بين درعين ، وشاوَرَ طبيبين .

ولما خرج إلى الطائف ، لم يقدر على دخول مكة ، حتى بعث إلى « المطعم بن عدى » فقال : أدخل فى جوارك ؟

وقد كان يمكنه أن يدخل مكة متوكلاً على الله بلا سبب .

فإذا جعل الشرع الأمور منوطة بالأسباب ، كان إعراضى عن الأسباب دفعاً للحكمة .

ولهذا أرى أنَّ التداوى مندوب إليه .

وقد ذهب صاحب مذهبى - يقصد الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله - إلى أن ترك التداوى أفضل ، ومنعنى الدليل من اتباعه فى هذا .

فإن فى الحديث الصحيح : أن النبى ﷺ قال : « ما أنزل الله داءً إلا وأنزل له دواء ، فتداووا » .

ومرتبة هذا اللفظ الأمر .

---

(١) النساء : ١٠٢ (٢) يوسف : ٤٧

والأمر - هنا - إما أن يكون واجباً أو ندباً ، ولم يسبقه حظر ليكون أمر إباحة .

وكانت عائشة رضى الله عنها تقول : تعلمت الطب من كثرة أمراض رسول الله ﷺ ، وما يُنعت له .

وقال عليه الصلاة والسلام لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه : « كُلْ من هذا ، فإنه أوفق لك من هذا » .

ومَن ذهب إلى أن تركه « التداوى » أفضل احتج بقوله عليه الصلاة والسلام : « يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب » .

ثم وصفهم فقال : « لا يكتوون ، ولا يسترقون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » .

وهذا لا ينافى التداوى لأنه قد كان أقوام يكتوون لئلا يمرضوا ، ويسترقون لئلا تصيبهم نكبة .

وقد كوى عليه الصلاة والسلام سعد بن زرارة ، ورخَّصَ فى الرقية فى الحديث الصحيح . فعلمنا أن المراد ماأشرنا اليه .

وإذا عرفت الحاجة إلى إسهال الطبع رأيت أن أكل البلوط [1] مما يمنع عنه علمى ، وشرب ماء التمر الهندى أوفق ، وهذا طب .

فإذا لم أشرب ما يوافقنى ، ثم قلت : اللّهم عافنى ، قالت لى الحكمة : أما سمعت : اعقلها وتوكل ؟ اشرب وقل : عافنى ، ولا تكن كمن كان بين زرعه وبين النهر كف من تراب ، تكاسل أن يرفعه بيده ، ثم قام يصلى صلاة الاستسقاء .

وما هذه الحالة إلا كحال مَن سافر على التجربة .

---

(١) نوع من الثمر يُحدث الإمساك ، يكثر وجوده فى غابات « لبنان » ومن خواصه - كما فى القاموس - أنه بارد ، يابس ، ثقيل ، غليظ ، ممسك للبول .

وإنما سافر على التجربة لأنه يجرب بربه عَزَّ وجَلَّ ، هل يرزقه أو لا .

وقد تقدَّم الأمر إليه : « وتزودوا » فقال : لا أتزود ، فهذا هالك قبل أن يهلكه . ولو جاء وقت صلاة وليس معه ماء ليم على تفريطه . وقيل له : هَلاَّ استصحبت الماء قبل المفازة ؟

فالحذر الحذر من أفعال أقوام ، دققوا فمرقوا عن الأوضاع الدينية ، وظنوا أن كمال الدين بالخروج من الطباع ، والمخالفة للأوضاع .

ولولا قوة العلم والرسوخ فيه لما قدرت على شرح هذا ، ولا عرفته .

فافهم ما أشرتُ إليه . فهو أنفع لك من كراريس تسمعها ، وكن مع أهل المعانى لا مع أهل الحشو » ... انتهى .

* * *

● الإيمان روح الحياة :

المفروض فى الإيمان أنه - أولاً - تصديق بالحقيقة الكبرى ، واعتراف بالوجود الأعلى ، وشُعور بمنزلة الإنسان المحدودة أمام رب واسع ، بيده ملكوت كل شىء ، وهو يُجير ولا يُجار عليه .

ثم للإيمان - إلى جانب هذا كله - وظيفة لا تنفك عنه ، هى : أنه القوة الباعثة على العمل الصالح .

القوة التى توجه الإنسان إلى الله فيما يفعل ، وفيما يترك ، وفى شئون حياته كلها .

وكما أن للمعدة « إفرازات » تهضم الطعام ، وتستخلص أطيب ما فيه ليفيد الجسم منه « فالعقيدة الإلهية » خواص مشابهة تحول بها الأعمال العامة عبادات مقبولة ، وتضفى عليه معنى خالصاً ، ترتفع به إلى الله .

وفراغ القلب من هذه العقيدة ، معناه سقوط الأعمال التى تصدر عن الإنسان ، وكونها بمنزلة أحط من أن تحظى بثواب الله .

إذ الإيمان بالله شرط صلاح العمل وقبول السعى ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ * مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١) .

* * *

إلا أن الحياة المائجة بسعي البَشر - سحابة النهار وزلفاً من الليل - لا يحكمها الإيمان المجرّد .

وأكثر الأعمال يقوم بها أصحابها ، وهم ذاهلون عن ربهم ، ذاكرون لأنفسهم وأهوائهم .

وللإسلام أحكام حاسمة فى تقدير الأعمال ، بحسب النيّات التى تلابسها ، فهو يقبل منها ما أريد به وجه الله ، ويرفض ما أريد به غيره ، مهما كان حسناً فى ظاهره .

وقد خلق الناس مقاييس أخرى - غير ما أنزل الله - جعلوها محور الحكم على قوم بالخير ، وآخرين بالشر .

وليس هنا محل بحث هذه المقاييس الكثيرة ونقدها .

فإنّ علم « الأخلاق » تناول بعضها ، وطبيعة الحياة الدنيا تناولت البعض الآخر ، وتداولته تداول النقد فى الأيدى .

النقد - فى هذا الزمان - أوراق تواضع الناس على إغلاء قيمتها ، وإلا فهى - عند التقويم الحق - لا تساوى شيئاً .

كذلك أغلب المقاييس التى يرفعون بها قوماً ، ويضعون آخرين .

* * *

---

(١) غافر : ٣٩ - ٤٠ .

وهناك جهود تُبذل لإحلال النزعة الوطنية مكان العقيدة الدينية في الميدان الاجتماعى والسياسى ، بل فى الميدان النفسى والتربوى .

وتزداد هذه الجهود قوة ، كلما كان المراد منها إقصاء « الإسلام » عن مكانته العامة فى التوجيه ...

وحب الوطن غريزة لا تُنكر ، والدفاع عنه واجب حتم .

وشىء من ذلك وهذا لا يكون على حساب الانتقاص من صلة المرء بدينه ووفائه لربه .

ولستُ أدرى لماذا يصر « البعض » على إفراغ الإيمان بالله من القلوب لتمتلىء بشىء آخر بدلاً عنه . هو الإيمان بقطعة ما من أرض الله التى تعيش فوقها ! ؟

* * *

● النزعة القومية :

شر ما رُمِىَ الإسلام به - فى الغارة الأخيرة على أرضه - هذا التمزيق الذى فرّق بين أهله وجعلهم شيعاً متناكرة ، وخلق من بلادهم إمارات وممالك يدهشك عدّها ويثيرك إحصاؤها ...

وكذلك صنع زبانية الاستعمار بالعرب والمسلمين ، فقطّعوهم فى الأرض أمماً شتّى ، وكانوا أمة واحدة ، ووزعوهم طرائق قِدداً ، وكانوا - من قبل - طريقاً قاصدة ...

وتصوَّر جسماً متماسكاً ، يُقال لكل عضو فيه : عش وحدك ، ولا تفكر فى غيرك !

فتكون اليد دولة ، والرِجل دولة أخرى ، والعين دولة ، والأنف دولة أخرى .

لا صلة بين رأس وقلب ، ولا بين قلب وأطراف ! !

أهذا عمل طبيب يريد الحياة ، أم عمل جزار يبتغى القتل ؟

إن ساسة « أوروبا » رسموا خطتهم وأنفذوها على هذا النحو المهلك .

وكلما تحركت غريزة البقاء فى هذه الأشلاء الممزقة لتجتمع من فُرقة ، ولتقترب من بُعد ، جدَّد الاستعمار سعيه القديم ليبقى المسلمون فرقاً متباعدة متحاقدة ، يزعم بعضها أن سيعيش وحده ، مستغنياً بنفسه !

وهيهات .. فما الحرص على هذه القطيعة إلا الحرص على الانتحار..

* * *

والبلية المختفية وراء هذه المأساة ، هى إحياء النزعات القَبلية ، والعصبيات القومية الضيقة ، إنَّ الجرح الذى نفذ إلى أحشاء الإسلام ، جاء من هذا الداء .

ولئن كانت التعصبات المحدودة آفة إنسانية عامة ، إنها - فى يوم الإسلام هذا وفى حالته تلك - إثم غليظ .

بل هى أقصر طريق للخروج عن الإسلام ، وتسليم أوطانه كلها للأجانب الغاصبين .

باسم ماذا ؟ باسم التعصب لوطن واحد ! ..

وقد فطن الغُزاة الجدد ، إلى ما لم يفطن إليه الصليبيون القدماء ، فوجدوا أن أنجع أسلوب لكيد الإسلام ، وإذهاب ريحه ، وإسقاط دولته ، وإظلام مستقبله ، هو ملء القلوب بالعصبيات الوطنية الغبية ، بعد تفريغها من حقائق الإيمان وإذهالها عن حقوق الله ، حتى ليهتف الهاتف مناجياً بلاده :

حديثك أول ما فى الفؤاد ونجواك آخر ما فى فمى !!

وإذا كان الأمر كذلك ، فماذا يبقى لله من قبل ومن بعد ! ؟

إنَّ الجهود التى تضافرت لتحول المسلمين إلى هذه الأفكار والمشاعر الجديدة ، رسمتها - كما قلت - سياسة استعمارية خبيثة ، شديدة الوطأة علينا ، شديدة الحقد على ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا ...

فاحتالت على إذابة صبغته وفك عراه بإشاعة النعرات القومية والفتن الإقليمية ، فنالت بذلك ما لم تنل بالعدة والعديد ...

وقد سُمِحَ للدين أن يكون عنصراً ثابتاً فى القوميات الغربية ، خصوصاً وهى تزحف فى بلاد المشرق غازية ساطية ، بينما أُقْصِىَ الدين إقصاءً عن القوميات فى البلاد الإسلامية وحدها ، وفُرِضَ على المسلم فى الجزائر ألا يحزن أو يتحرك إذا استذل المسلم فى تونس .

وطُلِبَ من المسلم فى العراق ألا يهتاج أو يتحرك ، إذا هُدِّدَ كيان الإسلام فى مصر .

وهكذا تقع المغارم كلها على الإسلام وأهله ، باسم التحرر من القديم ، والإخلاص للوطن فحسب ...

ومن الإنصاف أن نذكر رأى بعض مفكرى الغرب - وهومسيحى مخلص - فى هذه النزعة القومية المحضة .

لقد عالج « إمرى ريفز » فى كتابه « قضية السلام » هذه المسألة ، وعرض لها من الناحية الإنسانية البحتة ، ثم بيَّن قيمتها بين مبادىء الأخلاق والسلوك ، وأنذر العالَم عُقبى التمسك بها ، فقال تحت عنوان « تشويه الدين » [1] :

« بلغت عبادة الدولة القومية ذروتها فى البلاد الفاشية .

ولكن تشويه الدين وتسخيره للغايات القومية لوحظا فى كل أُمة .

إنَّ العنصر المقدَّس والمهذَّب فى المسيحية هو أنها عالَمية ، وأنَّ مبدأها : أنَّ الناس خُلِقوا متساوين أمام الله ، وهم يعنون لإله واحد ، قانونه واحد ، يسرى على الناس جميعاً .

ولقد كانت هذه فكرة ثورية فى التاريخ البَشرى .

---

(١) قالت النيويورك تايمز : قد يكون من الخير للعالَم أن يقرأ عشرة ملايين أو عشرون مليوناً من الناس كتاب « قضية السلام » ويناقشونه فإنه بارع بليغ يعالج الواقع كما هو .

ولكن ظهور الدولة القومية منع هذه الفكرة أن يكون لها أثر مهذب .

ففى اللحظة التى بدأت فيها الأمم الحديثة تتبلور ، بدأ الشعور القومى فى العالم الغربى يتغلب على الشعور المسيحى .

وكانت الكنيسة منقسمة ، فازدادت انقساماً إلى مذاهب أخرى ، يؤيد كل منها المثل الأعلى الناشىء للأمة .

وصار من المعترف به فى كل بلد أنَّ السياسة القومية سياسة مسيحية .

وتحولت الكنائس المسيحية إلى هيئات قومية ، تؤيد الغرائز القَبلية للروح القومية .

ففى آلاف من الكنائس يسأل اللّه القسسُ الكاثوليك ، والوعّاظ البروتستانت المجد لمواطنيهم ، والويال لغيرهم ، وإن كان هذا يناقض مناقضة شديدة أسمى المثل العليا الدينية التى أُوتيها الإنسان .

إنَّ المبدأ الأخلاقى الكونى لا يكون كونياً ولا أخلاقياً ، إذا كان لا يصح إلا داخل جماعات منفصلة من الناس .

فـ « لا تقتل » لا يمكن أن يكون معناها أنَّ من الإجرام أن تقتل رجلاً من مواطنيك ، ولكن من الفضيلة أن تقتل رجلاً يُعَد مواطناً فى دولة أخرى .

ومثل هذا التطور يلاحَظ فى جميع أديان التوحيد الثلاثة .

فالوحدة التى احتفظ بها القرآن قروناً بين الشعوب الإسلامية المختلفة الأصول ، قد ذهبت وصار الشعب الإسلامى قوميات شتّى .

فدعاة الجامعة التركية يرمون إلى توحيد فروع معينّة من الجنس التركى ، ودعاة الجامعة العربية يشيرون باتحاد الشعوب العربية .

ويقول المسلمون فى الهند : « إننا هنود أولاً ، ومسلمون بعد ذلك » .

وقد نسى الجميع الصبغة العالمية التى كانت أساس دين الإسلام العظيم .

والأمر لا يقتصر على المسيحية والإسلام .

فإنَّ أقدم الموَحِّدين - وهم اليهود - قد نسوا التعاليم الأساسية ، وهى أنه عالمى .

ويبدو أنهم عادوا لا يتذكرون أنَّ اللّه الواحد الأحد تعالى ، قد اختارهم لينشروا دعوة التوحيد بين أهل العالَم .

فهم يبغون أن يعبدوا - بعواطف مشبوبة - إلههم القومى الخاص ، وأن تكون لهم دولتهم القومية .

وما من اضطهاد أو عذاب ، مهما بلغ أمره ، يمكن أن يسوِّغ نبذ هذه الرسالة العالَمية من أجل القومية - وهى اسم آخر للقبلية - التى هى أصل مصائبهم جميعاً .

وإنه لعلى أعظم جانب من الخطر لمستقبل الإنسانية ، أن تدرك مبلغ التشويه الذى أصاب عقيدة التوحيد العالمية مَن جرّاء هذه النزعات الضيقة .

فما كان من الممكن قط - بدون تأثيرها - أن تقوم الحرية الإنسانية فى الجماعة الديمقراطية ولا أن تبقى .

وما من سبيل إلى إنقاذ الجماعة الإنسانية إلا بالعالَمية .

فإذا لم تعد الكنائس المسيحية إلى مبدئها المركزى ، وتجعله أساس انطلاقها حين تعمل ، فإنها ستزول أمام عقيدة جديدة عالَمية ، لا بد أن تبرز من بين الخرائب والآلام ، التى يسببها تهافت القومية الآتى لا محالة » .

* * *

وهذا كلام صحيح ، وحكم صائب ..

ونحن ننبِّه المسلمين أن يفقهوه جيداً ، وأن يبصروا - على ضوئه - حقيقتين عاريتين :

١ - أنَّ العودة بالإنسان إلى آفاق الجاهلية الأولى فى التعصب الأعمى للوطن واللون والدم ، ضرب من الوثنية الطائشة ، لا يجمل بنا .

٢ - أنَّ هذه العودة خسارة محققة للإسلام وأهله ، وربح مؤكد للغزو الأوروبى الحديث .

إنَّ الاحتيال على المسلمين مفضوح فيما ترى ، لقد قامت « إسرائيل » دولة عاتية بعد ما حوَّلت الدين إلى عصبية خاصة بها ، وأقرَّ العالَم ذلك فى الحين الذى حرَّم على المسلمين أن يتجمعوا باسم دينهم .

ثم باسم « القومية المصرية » التى لا تُفرِّق بين الأديان ، أوعزت إسرائيل إلى بعض اليهود « المصريين » هنا أن يعملوا ضد مصر ، حتى تفشل فى كفاحها النبيل لإنقاذ فلسطين . ثم تبعهم غيرهم !!

وقد جازت الحكومة هؤلاء الخونة بالشنق ، وحسناً فعلت .

فإنها لجريمة قذرة أن تُستخدم هذه النزعه في التنفيس عن حقد كامن ، وتعصب قديم .

ومسلك الصليبية العالمية فى التأليب علي الإسلام والتآمر علي مستقبله - تحت ستار القوميات الخاصة - لا يقل مكراً ولا خطراً عما صنعته الصهيونية .

وقد أخذ المسلمون - لطول ما تلاحق عليهم من بلاء - يدركون ويتألمون .. !!

* * *